# في الآداب النفسية

ان المقصود بالآداب النفسية هو الكمال الانساني الذي ينبغي ان يتصف به كل مفسر من صحة الاعتقاد بالله، واخلاص القلب له ، ونقاء السريرة ، وتحري الصدق، والتزام الامانة في النقل، وصدق النية في استنباط المعاني ، واستلهام روح النصوص القرآنية ، وبيان مراميها، ويمكن بيان ذلك في الامور الآتية:

## الأول: صحة الاعتقاد

لا يخفى علينا ان للعقيدة أكبر الاثر في نفس صاحبها فإذا لم تكن سليمة ، تحمل صاحبها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الاخبار، فهذا الطبري يتحدث في أوائل تفسيره عن آداب المفسر فيذكر من ذلك أنه يجب أن يتوافر في المفسر صحة الاعتقاد، ولزوم سنة الدين، فإن كان في الدين متهماً في دينه لا يؤتمن على الدنيا، فكيف يؤتمن على الدين ثم لا يؤتمن في الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن في الاخبار عن أسرار الله تعالى ، ولأنه لا يؤمن ان كان متهما بالإلحاد ان يبغي الفتنة ، ويغر الناس بلباسه وخداعه كدأب الباطنية الذين فسد اعتقادهم فأولوا الآيات التي تخالف اعتقادهم مؤيدين في ذلك مذهبهم الباطل ليصدوا الناس عن اتباع السلف ولزوم طريق الهدى ، بلين الكلام، وحسن البيان لذلك كانت صحة الاعتقاد أمراً ضرورياً تمليه على المفسر طبيعة الايمان بالقرآن، وسلامة تفسيره من الانحراف والزيغ عما اراده الله سبحانه وتعالى.

## الثاني : اخلاص القلب والتفويض إليه

فإذا كانت صحة الاعتقاد السليمة من كل شائبة ، جاءت النية صادقة : والاخلاص لله مكملاً للنفس، وخاصة إذا اقترن بهما تفويض الأمر إلى الله والتوكل عليه؟ لأن التوكل صفة من صفات المؤمنين الموقنين، كما عبر عن ذلك القرآن نفسه حين قال: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ الأنفال: ٢ .

فإذا وجل قلب المفسر وخشعت جوارحه لله اغدق عليه سبحانه من فيوضاته الربانية ، وأورثه من العلم مالم يعلم.

**الثالث: صحة المقصد وحسن النية في ما يكتب** : لأن الأعمال بالنيات فينبغي ان يتجنب البدع والمحدثات ويكون اعتماده الأول في التفسير على النقل عن رسول الله وعن أصحابه من أهل البيت وغيرهم، وممن عاصرهم ، فإذا تعارضت أقوال المنقول عنهم وامكن للمفسر أن يجمع بينها فعل ذلك ، وان لا يكون قصده من وراء التفسير هوى من أهوائه أو غرضاً من اغراض دنياه ، ولا أثر فيه ذلك فانحرف أو اعتسف لذلك ينبغي ان يترفع عن الهوى وسفاسف الأمور، ويتطهر من اعراض الدنيا وشهواتها ليسدد الله خطاه يقول الطبري في ذلك : ومن شروطه صحة المقصد فيما يقول ، ليلقى التسديد ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ العنكبوت: ٦٩ .

وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا ، لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن ان يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده، ويفسد عليه صحة عمله، ولأن الهدف من العلوم الشرعية هو بيان مزايا الإسلام حتى يقبلوا عليه ويمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، وفي هذا كل الخير للفرد والمجتمع.

**الرابع: التدبر والتفكر**

ان التفسير القرآن بحاجة إلى تدبر عميق، وتفكير دقيق وفهم سديد لإدراك ما في القرآن من أسرار، والوصول إلى ما احتواه من حكم تكمن وراء كل تشريع وتوجيه وهذه الحكم والاسرار لا تبدو إلا للمتدبر الفاقه ، والمتفكر البصير ، فالتدبر والتفكر يشحذ الفكر، ويمكن للمفسر من اجتلاء حكم القرآن، وكشف مراميه ، وفهم دقائقه ، واكتناه ما حواه من اسرار.

**الخامس : علم الموهبة**

وهو علم يورثه الله لمن اتقى الله بترك محارمه ، وتنفيذ أوامره وعمل بما علم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ الحديد: ٢٨

فهذا قانون الله المقرر ودستوره الذي لا يتغير فالمسلمون الذين عاشوا حياة التقوى فتح الله عليهم أبواب السماء والأرض ويؤكد الرسول ﷺ هذا القانون الالهي فيقول: (( من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم)).

فعلم الموهبة ثمرة من ثمار التقوى وترك الآثام والبعد عن الفسوق والعصيان ، وكذلك نور يلقيه الله في قلوب الاتقياء من العلماء فينالون الفهم ويتذوقون العلم بالعمل وهذا لا يكون إلا عند أهل الورع والصدق والزهد والتقوى، ولا يحصل للمفسر إلا إذا كان في الذروة العليا من التقوى وصدق الإيمان بالله، والاخلاص لله في القول والعمل فلا يخاف إلا الله ، ولا يرجو إلا إياه ، ولا يبالي إلا برضاه وينبغي ان يترجم واقع حياته .

-فهذا النمط من المفسرين هو الذي يتصل له علم الموهبة لصلته القوية بالله العظيم وثقته العجيبة فيه وإلا صرف الله عنه علوم القرآن ونزع منه فهم إسراره .

- هذه هي أهم الآداب النفسية التي ينبغي أن يتصف بها كل مفسر لأن التفسير مهمة علمية من اشق المهمات لا يستطيع ان يتحملها إلا من سلك طريق الرسل والأنبياء الذين صاغهم الله صوغة خاصة بما خصهم من العلوم والاسرار والحكم وهؤلاء هم العلماء الذين ورثوهم ، وتربوا في مهدهم الإيماني فهؤلاء وحدهم هم الذين يدركون ابعاد معنى علم الموهبة .